الدرس الأول

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، صلى الله وسلم عليه، وعلى آله وأصحابه أجمعين.

أما بعد،.

فإن من أعظم ما ينبغي أن يعتني به المسلم قلبَه الذي عليه مدار الصلاح والفلاح، والسعادة والنجاح، فإن هذا القلب إذا صلح واستقام على طاعة الله تبارك وتعالى تبعته الجوارح، وإذا فسد –عياذًا بالله– تبعته الجوارح في الفساد، فهو مع الأعضاء بمثابة الملك مع جنوده، إن طاب طابت، وإن خاب خابت، بل شأن القلب أعظم من ذلك؛ لأنه قد يطيب الملك ويخيب بعض الجند، وقد يخيب الملك ويصلح بعض الجند، أما القلب إن فسد فسدت الجوارح، وإن صلح صلحت، فهي لا تتخلف عن مرادات القلوب، ولا ينجو يوم القيامة إلا من أتى الله سبحانه وتعالى بقلب سليم، {يَوْمَ لا يَنفَعُ مَالٌ وَلا بَنُونَ (٨٨) إِلاَّ مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ} [الشعراء: ٨٨، ٨٩].

والقلب السليم هو الذي سلم من أمرين:

الأمر الأول: الشهوة التي تخدش في إرادات القلب.

الأمر الثاني: الشبهة التي تخدش في علمه ومعرفته.

ولا صلاح لقلب ولا سلامة إلا بالسلامة من آفة الشهوة وآفة الشبهة، وآفة الشبهة فساد في العلم، وآفة الشهوة فساد في الإرادة والعمل، وبسلامة القلب من هاتين يكون القلب سليمًا ناجيًا صاحبه، {يَوْمَ لا يَنفَعُ مَالٌ وَلا بَنُونَ (٨٨) إِلاَّ مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ}[الشعراء: ٨٨، ٨٩].

ويقابل هذا القلب السليم القلب الميت، والقلب المريض الذي به مرض:

والقلب الميت: هو الذي لا حياة فيه، أماته الكفر بالله، والتكذيب لأنبياء الله، والجحد لدين الله تبارك وتعالى، ولا نجاة من هذا الموت إلا بالإسلام،{أَوَ مَن كَانَ مَيْتاً فَأَحْيَيْنَاهُ} [الأنعام: ١٢٢].

والقلب المريض: هو الذي به مرض: إما مرض شبهة سببها فساد في العلم، أو به مرض شهوة، وهذا فساد في الإرادة والعمل، وهذا المرض يقوى في الإنسان ويضعف ويزيد وينقص بحسب أسبابه وموجباته، وكلما عرَّض الإنسان نفسه لأسباب مرض القلب ازداد القلب مرضًا.

وإن من أهم ما ينبغي أن يعتني به المسلم هذا القلب، إصلاحًا له، وعملًا على سلامته، التجاءً إلى الله عز وجل الذي بيده قلوب العباد، وبيده هدايتها وصلاحها، وفي الدعاء المأثور: (اللهم: آتِ نفوسنا تقواها، وزكها أنت خير من زكاها، أنت وليها ومولاها)، ثم مجاهدةً للنفس على صلاح القلب وسلامته واستقامته، والقلب إذا كان صحيحًا سليمًا فإن هذا الصلاح والسلامة للقلب تظهر شواهدها وبراهينها على جوارح العبد وسلوكه، كلما كان القلب أكثر استقامة وصدقًا وصلاحًا ظهرت الآثار.

ولهذا: ثمة علامات تدل وترشد على صحة القلب، ولا يلزم من وجودها أو علم العبد بها من نفسه أو من غيره، أن يزكي نفسه أو غيره، لكنها علامات وشواهد ودلائل على صحة القلب، فإذا وجدت في العبد فليحمد الله، وليجاهد نفسه على المحافظة عليها، وليسأل ربه تبارك وتعالى الثبات.

وللإمام العلامة ابن قيم الجوزية –رحمه الله تعالى– في كتابه: (إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان)، كلام عظيم جدًا عن القلب في أبواب عديدة صدَّر بها كتابه المشار إليه، وفي ضمن كلامه على القلب وصحته وأسباب مرضه، وغير ذلك من المسائل المتعلقة به، تكلم –رحمه الله– بكلام نفيس وتقرير مفيد عن علامات صحة القلب، فعدّد –رحمه الله– علامات عظيمة تدل على صحة قلب الإنسان، وهي موجودة في كتابه: (إغاثة اللهفان).

ثم إن الشيخ العلامة سليمان بن سحمان –رحمه الله تعالى– نظم هذه العلامات التي ذكرها ابن القيم –رحمه الله تعالى– في هذه المنظومة التي بين أيدينا، وقد قال في مقدمته لهذه المنظومة:

*** المتن ***

{الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ} [الأعراف: ٤٣].

أما بعد،.

فقد اشتملت هذه المنظومة على ستة مشاهد، ذكرها العلامة ابن القيم –رحمه الله– في (إغاثة اللهفان) في علامة صحة القلب، وختمتُ ما ذكره الشيخ بذكر ما عليه أهل السنة والجماعة من الاعتقاد.

*** الشرح ***

هذه خلاصة ذكرها –رحمه الله تعالى– معرفًا بمحتويات هذه المنظومة وما اشتملت عليه، وأنه بناها على تقرير ابن القيم –رحمه الله– في كتابه: (إغاثة اللهفان)، فيما يتعلق بعلامة صحة القلب، وأيضًا المشاهد الستة

العظيمة التي ذكرها -رحمه الله تعالى-، والتي ينبغي للعبد أن يشهدها في عبوديته لله، وسيأتي أن ابن القيم —رحمه الله- في رسالته المعروفة بـ: (رسالة ابن القيم لأحد إخوانه)، تكلم بشيء من التوسع نوعًا ما عن هذه المشاهد الستة، وكلها ستأتي معنا في ثنايا هذه المنظومة.

التعريف بالناظم:

وأما الناظم لهذه المنظومة الشيخ ابن سحمان -رحمه الله تعالى- فهو العلامة الشهير صاحب التصانيف والمؤلفات العديدة المفيدة النافعة، ويُقال عنه: حَسّان زمانه. لأنه صاحب شعر جيد في نصرة الدين، والذب عن سنة النبي الكريم عليه الصلاة والسلام، ورد البدع والمحدثات، ونقض شبه أهل الضلال والباطل، فكان —رحمه الله- مجاهدًا بعلمه نظمًا ونثرًا، وله في ذلك كتب كثيرة.

مولده:

وكانت ولادته —رحمه الله- في سنة ألف ومائتين وست وستين من الهجرة (١٢٦٦ هـ)، في قرية من القرى القريبة من أبها جنوب المملكة.

نشأته وشيوخه:

ونشأ في أحضان والده الشيخ سحمان، وكان والده عالمًا فاضلًا حافظًا لكتاب الله، على شيء من الحظ والنصيب من العلم والفقه، فنشَّأ ابنه تنشئة فيها حرص على العلم، وجد في الطلب والتحصيل، وأقرأ ابنه القرآن حتى ختمه، ثم أخذ يلقنه مبادئ العلم، ثم انتقل بعد ذلك والده إلى مدينة الرياض في عام ألف ومائتين وثمانين للهجرة (١٢٨٠ هـ)، وهناك التقى بأكابر من أهل العلم أخذ يتلقى عنهم، أبرزهم: الشيخ عبد الرحمن بن حسن، حفيد شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب صاحب: فتح المجيد، وابنه عبد اللطيف بن عبد الرحمن، لازمهما ملازمة تامة، واستفاد منهما استفادة كبيرة، ثم انتقل بعد ذلك والده إلى الأفلاج، وهناك تتلمذ على الشيخ حمد بن عتيق ولازمه سبع عشرة سنة.

مؤلفاته:

له -رحمه الله تعالى- مؤلفات كثيرة في نصرة العقيدة، والذب عن السنة، وله ديوان شعر، وهذه المنظومة التي بين أيدينا من جملة ديوانه المطبوع -رحمه الله تعالى-.

وفاته:

وكانت وفاته عام ألف وثلاثمائة وتسع وأربعين للهجرة (١٣٤٩ هـ).

هذه نبذة مختصرة عن الناظم، ونشرع الآن في مذاكرة هذه المنظومة.

*** المتن ***

بسم الله الرحمن الرحيم

بحمد نبدأ في المقال * وذكر الله في كل الفعال**

فذكر الله يجلو كل هم * عن القلب السليم على التوالي**

*** الشرح ***

قوله: بسم الله الرحمن الرحيم: بدأ -رحمه الله تعالى- بالبسملة، وهو بدء فيه الاستعانة بالله تبارك وتعالى؛ لأن الباء في بسم الله باء الاستعانة، فالبدء بها بدء بالاستعانة بالله والاعتماد عليه في صلاح الأمر وتمامه وحسن الانتفاع به.

قوله: بحمد الله نبدأ في المقال، وذكر الله في كل الفعال: بدأ بالحمد والذكر، حمد الله عز وجل، وذكره سبحانه وتعالى، وقد جُمع بينهما في الدعاء المأثور في طلب العون، الذي علمه النبي صلى الله عليه وسلم ومعاذًا -رضي الله عنه-، قال: (لا تدعن دبر كل صلاة أن تقول: اللهم: أعني على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك)، فبدأ بحمد الله، وذكره سبحانه وتعالى.

وذكر الله جلا وعلا مستلزم لمعرفته: معرفته بأسمائه وصفاته، ومعرفته بنعمه ومننه وآلائه سبحانه وتعالى، وشكره متضمن لطاعته، والذل له، والعمل بما يرضيه سبحانه وتعالى، قد قال الله جلا وعلا: {اعْمَلُوا آلَ دَاوُدَ شُكْراً} [سبأ: ١٣].

ولهذا: الدين مبني على هاتين القاعدتين: الذكر والشكر، الذكر فيه المعرفة، والشكر فيه العمل بطاعة الله سبحانه وتعالى، وما يقرب إليه سبحانه.

ومن الآيات التي جُمع فيها بين الذكر والشكر: قول الله سبحانه وتعالى: {فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُواْ لِي وَلاَ تَكْفُرُونِ} [البقرة: ١٥٢].

قوله: بحمد الله نبدأ في المقال: أي نبدأ مقالنا هذا حامدين لله، وحمد الله سبحانه هو الثناء عليه بما هو أهله مع الحب له جلا وعلا، والحمد يكون على الأسماء والصفات، ويكون على النعم والعطايا والهبات.

قوله: وذكر الله في كل الفعال: أي ونبدأ بذكر في كل الفعال.

والبسملة مشروع البدء بها في دخول المسجد، وفي الصلاة، ودخول المنزل، وعند الطعام، وأمور كثيرة من فعال العبد يبدأها بالبسملة، وعرفنا أن البسملة استعانة بالله تبارك وتعالى، وهي ذكر لله، يبدأها ذاكرًا لله بالبسملة، أو بغير ذلك من الذكر أيضًا المأثور عن نبينا صلوات الله وسلامه وبركاته عليه.

ثم أتبع ذلك ببيان فائدة عظيمة من فوائد الذكر.

قوله: فذكر الله يجلو كل هم، عن القلب السليم على التوالي: يجلو: أي يزيح عن القلب كل همّ، فالهموم التي تصيب القلب -ولها أسباب- يزيحها عن القلب ويجلوها عنه ذكر العبد لربه سبحانه وتعالى، وفي حديث ابن مسعود، عن نبينا عليه الصلاة والسلام أنه قال: (ما أصاب عبدًا هم ولا حزن، فقال: اللهم: إني عبدك، ابن أمتك، ناصيتي بيدك، ماض في حكمك، عدل فيَّ قضاؤك، أسألك بكل اسم هو لك، سميت به نفسك، أو أنزلته في كتابك، أو علمته أحدًا من خلقك، أو استأثرت به في علم الغيب عندك، أن تجعل القرآن العظيم ربيع قلبي، ونور صدري، وجلاء حزني، وذهاب همي وغمي. إلا أذهب الله حزنه وأبدله فرحًا)، وفي رواية: (فرجًا)، فذكر الله سبحانه وتعالى يزيح عن قلب المهموم كل همّ أصابه.

قوله: على التوالي: أي باستمرار، ما دام ذاكرًا لربه، معتنيًا بذكر الله سبحانه وتعالى، فإن ذكره لله جلا وعلا يجلو عن قلبه كل هم يصيبه.

والإمام ابن القيم -رحمه الله تعالى- في كتابه: (الوابل الصيّب)، عدد فوائد كثيرة للذكر تزيد على السبعين فائدة، بعد أن أخبر أن للذكر أكثر من مائة فائدة، ثم أخذ يعدد حتى بلغ ما ذكره ما يزيد على السبعين فائدة من فوائد الذكر، ذكر من جملة هذه الفوائد، أنه يجلو عن القلب كل همّ.

قال -رحمه الله-: ولا ريب أن القلب يصدأ كما يصدأ النحاس والفضة وغيرهما، وجلاؤه بالذكر، فإنه يجلوه حتى يدعه كالمرآة البيضاء.

***** المتن *****

فللقلب السليم إذا تزكى * علامات هنالك للكمال**

علامات لصحة كل قلب * سليم عن مداخلة الضلال**

علامات ذُكِرن بكل نثر * عن الأعلام واضحة المنال**

*** الشرح ***

هذه تقدمة بين يدي العلامات التي سيذكرها علامة تلو الأخرى، منبهًا -رحمه الله تعالى- في هذه التقدمة بأن القلب السليم إذا تزكى، إذا وفقه الله سبحانه وتعالى، فأصبح قلبًا زكيًا طاهرًا سليمًا، فهنالك علامات تدل زكاة القلب، وسلامة القلب تدل على ذلك.

قوله: علامات لصحة كل قلب سليم عن مداخلة الضلال: هنا تعريف للسلامة التي للقلب، وأنها سلامة من مداخلة الضلال، من شبهة تفسد على القلب علومه، أو شبهة تفسد عليه إراداته.

قوله: علامات ذكرن بكل نثر، عن الأعلام: العلماء ذكروها نثرًا، وهو يشير هنا إلى ما ذكره الإمام ابن القيم -رحمه الله تعالى- في كتابه: (إغاثة اللهفان).

قوله: واضحة المنال: لأنها معان واضحة، وشواهدها ودلائلها ظاهرة، فهي واضحة المنال، يعني من أراد معرفتها والوقوف عليها فهي واضحة، ليست ملتبسة ولا خفية، وابن القيم -رحمه الله- في (إغاثة اللهفان) قال: فالقلب الصحيح يؤثر النافع الشافي على الضار المؤذي. ثم قال: ومن علامة صحته كذا، ومن علامة صحته كذا. وأخذ يذكرها علامة تلو الأخرى، فأخذها الشيخ ابن سحمان، وساقها هنا نظمًا متينًا، نافعًا مفيدًا.

*** المتن ***

ولكني نظمت لها نظامًا * به أرجو التنافس في الفضال**

مع الإقرار بالتقصير فيها * وذكر للعقيدة في المقال**

*** الشرح ***

يقول -رحمه الله-: الشيء الذي فعلته هو أنني أخذت هذه العلامات التي ذكرها ابن القيم -رحمه الله تعالى- ونظمت لها نظمًا. ومن المعلوم أن النظم يساعد طالب العلم، ولا سيما من عنده مقدرة على حفظ المنظومات، يساعده على ضبط العلم؛ لأن حفظ النظم أسهل من حفظ النثر، لما فيه من سلاسة وسهولة وعذوبة إذا كان النظم كذلك.

قوله: ولكني نظمت لها نظامًا، به أرجو التنافس في الفضال: أي أردت أن أنافس في هذه الفضائل وبيان هذه الأمور العظيمة التي لأجلها نظمت هذا النظم.

قوله: مع الإقرار بالتقصير فيها: وهذا من دأب أهل العلم والفضل والنبل، يجتهد باستطاعته في تميم العمل وتكميله، وفي كل ذلك يرى نفسه مقصرًا، ومن المشاهد التي ينبغي أن يشهدها العامل كما سيأتي مشهد التقصير، أي أنك مهما أجدت ومهما أتقنت في العمل لا تزال مقصرًا في جنب الله وفي حق الله سبحانه وتعالى عليك، فشهود هذا المشهد، مشهد التقصير، نافع جدًا للعبد ومهم له في المواصلة في الاستقامة والثبات على طاعة الله تبارك وتعالى، بخلاف من أعماله تأتي على التقصير ويرى نفسه من أكمل الناس عملًا، وانظر الفرق بين أهل الكمال والفضل وبين المقصرين:

أهل الكمال والفضل يتمم العمل ويكمله، وهو في الوقت نفسه يرى نفسه مقصرًا.

والمقصر: على العكس من ذلك، يقصر في العمل ويفرط، ويرى نفسه مكملًا ومتممًا للعمل، وربما أيضًا يرى يزكي نفسه.

قوله: وذكر للعقيدة في المقال: أي أنني أتبعت ذكري لهذه العلامات، علامات القلب، بذكر العقيدة، عقيدة أهل السنة والجماعة، المستمدة من كتاب الله وسنة نبيه صلوات الله وسلامه وبركاته عليه، وهو بذكره لهذه العقيدة في هذا الموضع ينبه تنبيهًا عظيم الأهمية ألا وهو أن سلامة القلب لا يمكن أن تكون إلا بالعقيدة السليمة، ولا يمكن أن يكون القلب سليمًا إلا إذا سلم المعتقد وصح واستقام، وكان مستمدًا من كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم، أما مع فساد المعتقد فإن القلب لا يكون سليمًا، أي سلامة تكون في قلب قائم على اعتقاد الباطل، أو اعتقاد فاسد، أو اعتقاد مخالف للعقيدة المستمدة من كتاب الله وسنة نبيه صلوات الله وسلامه عليه.

إذن: ذكره للعقيدة في هذا المقال، الذي هو علامات صحة القلب، فيه التنبيه على أنه لا يمكن أن يكون القلب سليمًا إلا مع صحة المعتقد وسلامته.

*** المتن ***

علامة صحة للقلب ذكر *** لذي العرش المقدس ذي الجلال

وخدمة ربنا في كل حال *** بلا عجز هنالك أو ملال

ولا يأنس بغير الله طرى *** سوى من قد يدل إلى المعال

ويذكر ربه سرًا وجهرًا *** ويدمن ذكره في كل حال

*** الشرح ***

هذه العلامة الأولى من علامة صحة القلب، ذكر الله سبحانه وتعالى، والمواظبة على ذكره، والإكثار من ذكره جل وعلا، والمحافظة على طاعته سبحانه وتعالى، وألا يفتر من ذكر الله ولا يسأم ولا يمل.

يقول ابن القيم –رحمه الله– في (إغاثة اللهفان): ومن علامات صحة القلب ألا يفتر عن ذكر ربه، ولا يسأم من خدمته، ولا يأنس بغيره، إلا بمن يدله عليه، ويذكره به، ويذاكره بهذا الأمر.

فهذه علامة من علامات صحة القلب، أن يكون بحث هذا القلب ومبتغاه إقامة ذكر الله، ولا يسأم من ذكر الله، ولا يأنس مع أحد من الناس إلا من يعينه على ذكر الله سبحانه وتعالى.

قوله: علامة صحة للقلب ذكر لذي العرش المقدس ذي الجلال: هذه علامة من علامات القلب، العناية بذكر الله، والمداومة على ذكر الله سبحانه وتعالى، {الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَاماً وَقُعُوداً وَعَلَى جُنُوبِهِمْ} [آل عمران: ١٩١]، {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْراً كَثِيراً} [الأحزاب: ٤١]، {وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيراً وَالذَّاكِرَاتِ} [الأحزاب: ٣٥]، فمن علامات صحته ذكر لذي العرش المقدس ذي الجلال.

قوله: المقدس: أي المنزه، فالتقديس التنزيه، المقدس أي عن النقائص والعيوب وعن مماثلة المخلوقات.

قوله: ذي الجلال: أي الموصوف بصفات الجلال والكمال، فجمع قوله: المقدس ذي الجلال. بين النفي والإثبات الذين عليهما قيام المعتقد في باب: الأسماء والصفات، إثبات بلا تمثيل، وتنزيه بلا تعطيل.

قوله: خدمة ربنا في كل حال: المراد بالخدمة هنا الطاعة والامتثال لأوامر الله سبحانه وتعالى، ولم أقف على استعمال لها في المأثور عن النبي صلى الله عليه وسلم والمأثور عن السلف، وإنما وقع مثل هذا الكلام فيما بعد عند أهل العلم، والمراد بالخدمة بها الامتثال والطاعة؛ لأن الخادم هو المطيع الممتثل لأمر سيده.

قوله: في كل حال: أي طاعة الله سبحانه وتعالى فيما يأمره به، ويدعوه إلى القيام به، وهذا يشمل فعل الأوامر وترك النواهي.

قوله: بلا عجز هنالك أو ملالٍ: أي دون أن يكون من العبد عجز، وفي السنة تعوذ بالله من العجز والكسل، ودون ملال، أي سآمة، دون أن يحصل له سآمة من العمل.

قوله: ولا يأنس بغير الله طرى سوى من قد يدل على المعال: ولا يأنس بغير الله جميعًا، أي لا يأنس بغير الله أي أحد كان، لا يستثنى من ذلك إلا من يعينه على طاعة الله وذكره، فإنه يأنس بهم لما يجده عندهم من معونة الله على طاعة الله سبحانه وتعالى، فأمثال هؤلاء يصحبهم ويلازم رفقتهم، {وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ} [الكهف: ٢٨].

قوله: ويذكر ربه سرًا وجهرًا: الأصل في الذكر أن يكون سرًا، {وَاذْكُر رَّبَّكَ فِي نَفْسِكَ} [الأعراف: ٢٠٥]: إلا ما جاء الجهر به، فمراده سرًا أي يذكر الله سبحانه وتعالى بكل أحيانه سرًا، وما جاء الجهر به في الذكر فإنه يجهر به موافقة لهدي النبي الكرم صلوات الله وسلامه وبركاته عليه.

ويدخل في ذكر الله سبحانه وتعالى جهرًا: تعليم العلم، وتفقيه الناس لدين الله، فإن هذا من ذكر الله سبحانه وتعالى، ومن الإقامة لذكره، كما في الحديث: (إذا مررتم برياض الجنة فارتعوا)، قيل: وما رياض الجنة؟. قال: (حلق الذكر)، والمراد بحلق الذكر أي مجالس العلم، التي يبين فيها الحلال والحرام، وتوضح فيها الأحكام، ويعرف الناس بربهم سبحانه وتعالى، وبأسمائه وصفاته، وبأوامره ونواهيه.

قوله: ويدمن ذكره في كل حال: يدمن: أي يواظب على ذكر الله سبحانه وتعالى في كل حال، {الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَاماً وَقُعُوداً وَعَلَى جُنُوبِهِمْ} [آل عمران: ١٩١]: أي في كل أحوالهم، وكان النبي صلى الله عليه وسلم يذكر الله في كل أحواله، قائمًا، وقاعدًا، وعلى جنب، صلوات الله وسلامه وبركاته عليه.

هذه العلامة الأولى من علامات صحة القلب.

يقول ابن القيم –رحمه الله– في كتاب (طريق الهجرتين): المحب يتلذذ بخدمة محبوبه وتصرفه في طاعته، وكلما كانت المحبة أقوى، كانت لذة الطاعة والخدمة أكمل. هذا يوضح أن المراد بالخدمة أي الطاعة والامتثال، فليزن العبد إيمانه ومحبته لله بهذا الميزان، ولينظر: هل هو متلذذ أو متكره لها يأتي بها على السآمة والملل؟ فهذا محل إيمان العبد ومحبته لله.

*** المتن ***

ومنها وهو ثانيها إذا ما * يفوت الورد يوماً لاشتغال**

فيألم للفوات أشد مما * يفوت على الحريص من الفضال**

*** الشرح ***

هذه العلامة الثانية من علامات صحة القلب، أن يألم عند فوات الوِرد، حين يثبت لنفسه وِردًا ثم يفوته، كأن يكون مثلًا له وِرد من الليل يصلي، أو حزب من القرآن، أو نحو ذلك، فإذا فاته يألم لفواته أعظم من تألم الحريص على المال بفواته للربح في ماله؛ لأن الذي هو فيه أعظم، والربح الذي فيه أكبر، فيألم على ألمٍ أشد من ألم من فاته ربح المال، أو مكسب من المكاسب الدنيوية.

يقول ابن القيم –رحمه الله–: ومن علامات صحته أنه إذا فاته ورده، وجد لفواته ألمًا أعظم من تألم الحريص بفوات ماله وفقده.

قوله: إذا ما يفوت الورد يومًا لاشتغال، فيألم للفوات أشد مما، يفوت على الحريص من الفضال: أي أشد مما يفوت على الحريص على تجارة أو ربح معين، أو مكسب من المكاسب التي يطمع في تحصيلها، يتألم هذا على فوات ورده ألمًا أعظم من ألم ذاك على فوات تحصيله على ذلك الربح.

*** المتن ***

ومنها شحه بالوقت يمضي *** ضياعاً كالشحيح ببذل مال

*** الشرح ***

هذه العلامة الثالثة من علامات صحة القلب، شح صاحبه بالوقت، لحرصه الشديد عليه، فشحه بالوقت من أن يضيع، وأن يذهب سدى بغير فائدة؛ لأن جميع المصالح إنما تنشأ من الوقت، فمتى أضاع الإنسان وقته، ضاعت مصالحه، وما فات من الوقت لا يستدرك، ولهذا: جاءت السنة بالحث على اغتنام الوقت، واغتنام أيضًا بالأخص وقت الشباب، (اغتنم خمسًا قبل خمس)، بدأها بقوله: (شبابك قبل هرمك)، فهذا كله حث على اغتنام الوقت، وتحذير من تضييعه، وعلامة المقت تضييع الوقت؛ لأن المصالح لا تتحقق إلا بحفظ الإنسان لوقته ورعايته له، وعنايته به.

يقول ابن القيم –رحمه الله–: من علامات صحته أن يكون أشح بوقته أن يذهب ضائعًا، من أشد الناس شحًا بماله ومنعه. يكون شحيح بالوقت من أن يضيع في الأمور التي لا فائدة فيها ولا طائل، فضلًا عن الأمور التي فيها محرمات، من غيبة، ونميمة، وسخرية، واستهزاء، وغير ذلك، شحيح بوقته شحًا أشد من شح البخيل بماله؛ لأنه إذا لم يكن عنده هذا الشح بوقته من أن يضيع وأن يذهب سدى، ضاع عليه وقته، وما ضاع من الوقت لا يمكن أن يستدرك.

فمن علامات صحة القلب: شحه بالوقت من أن يمضي ضائعًا سدى بدون فائدة.

قوله: كالشحيح ببذل المال: أي شحًا أشد من شح الشحيح ببذل ماله، والشحيح هو البخيل.

*** المتن ***

وأيضاً من علامته اهتمام *** بهمّ واحد غير انتحال

فيصرف همّه لله صرفاً *** ويترك ما سواه من المقال

*** الشرح ***

هذه العلامة الرابعة من علامات صحة القلب، يقول ابن القيم –رحمه الله– في (إغاثة اللهفان): ومن علامات صحته أن يكون همه واحدًا، وأن يكون في الله.

والناظم قرر ذلك بقوله: وأيضًا من علامته، اهتمام بهم واحد.

قوله: وأيضًا من علامته: أي صحة القلب.

قوله: بهم واحد: أي أن يكون همه همًا واحدًا.

قوله: غير انتحال: أي لا يكون ذلك مجرد دعوى؛ لأن من السهل على كل أحد أن يقول: إن همي هو واحد، وهو نيل رضا الله. هذا انتحال إن لم يكن حقيقة قلبه كذلك، فالانتحال سهل، والدعاوى إذا لم يقم عليها بينات فأهلها أدعياء، فلا يكن ذلك مجرد انتحال، بل يكون همه همًا واحدًا حقيقة وصدقًا.

قوله: فيصرف همه لله صرفًا، ويترك ما سواه من المقال: أي يجعل همه همًا وحدًا، وهو أن يكون في الله سبحانه وتعالى، وقد جاء في المسند وغيره، عن نبينا صلى الله عليه وسلم أنه قال: (من كان همه الآخرة جمع الله شمله، وجعل غناه في قلبه، وأتته الدنيا وهي راغمة).

*** المتن ***

وأيضاً من علامته إذا ما *** دنا وقت الصلاة لذي الجلال

وأحرم داخلاً فيها بقلب *** منيب خاضع في كل حال

تناءى همه والغم عنه *** بدنيا تضمحل إلى زوال

ووافى راحة وسرور قلب *** وقرة عينه ونعيم بال

ويشتد الخروج عليها منها *** فيرغب جاهداً في الابتهال

*** الشرح ***

هذه العلامة الخامسة من علامات صحة القلب، يقول ابن القيم –رحمه الله–: ومن علامات صحته أنه إذا دخل في الصلاة ذهب عنه همه وغمه بالدنيا، وتشتد عليه خروجه منها، ووجد فيها راحته ونعيمه وقرة عينه وسرور قلبه. وفي الحديث: يقول عليه الصلاة والسلام: (أرحنا بالصلاة يا بلال)، ويقول: (جعلت قرة عيني في الصلاة).

فمن علامات صحة القلب هذه المكانة العظيمة للصلاة، تعظيمًا لها، ومعرفة بقدرها، وإدراكًا لمكانتها، ورعاية لها، وأنسًا بمجيئها، ودخول وقتها، وحسن إقبال على الله سبحانه وتعالى فيها.

قوله: وأيضًا من علامته إذا ما دنا وقت الصلاة لذي الجلال: دنا: أي قرب وقت الصلاة وأقيمت.

قوله: وأحرم داخلًا فيها بقلب منيب خاضع في كل حال: أي تكون حاله في دخوله للصلاة، هذه الحال، قلب منيب خاضع.

قوله: منيب: هو الراجع إلى الله سبحانه وتعالى، المقبل على طاعته ونيل رضاه.

قوله: خاضع: أي ذليل منكسر بين يدي الله سبحانه وتعالى، خاشع له سبحانه في صلاته، خشوعًا يجمع بين خشوع القلب والجوارح.

قوله: تناءى همه والغم عنه بدنيا تضمحل إلى زوال: أي في دخوله للصلاة أمور الدنيا وشواغلها وهموها وغمومها كلها تنزاح عنه، ويكون مقبلًا على صلاته وصلته بربه تبارك وتعالى، وأنسه بعبادة ربه ومولاه مطمئنًا خاشعًا.

قوله: ووافى راحة وسرور قلب، وقرة عينيه ونعيم بال: أي يجد هذه الأشياء في الصلاة، فرق بين من يصلي وهو يجد هذه المعاني في صلاته، وبين من يصلي وكأنه واقف على جمر متململ، ينتظر متى تنقضي هذه الصلاة؟ ومتى يخلص منها؟ ولسان حاله: أرحنا من الصلاة، وليس: (أرحنا بالصلاة)، فرق بين هذا وذاك، بين مصل متململ متضجر، حتى إن بعضهم إذا أطال الإمام شيئًا قليلًا في صلاته نظر في ساعته متململًا متضجرًا، ففرق بين من يصلي وهو يوافي في صلاته الراحة وسرور القلب، وقرة العين، ونعيم البال، وبين من يصلي وهو قلق ومتضجر ويريد الراحة والخلاص من هذه الصلاة.

ولهذا: الأول يشتد عليه الخروج من صلاته، إذا انتهت الصلاة اشتد عليه الأمر؛ لأنه خرج من لذة وقرة عين، وراحة بال، فيشتد عليه الخروج منها، ويتمنى أن لو طالت أيضًا.

قوله: ويشتد عليه الخروج منها: أي يشتد عليه الخروج من الصلاة، لما يجد فيها من لذة وراحة وقرة عين، فيرغب جاهدًا في الابتهال، {فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ (٧) وَإِلَى رَبِّكَ فَارْغَبْ} [الشرح: ٧، ٨].

قوله: الابتهال: بقطع الهمزة في الابتهال للضرورة الشعرية.

بينما الآخر: إذا انتهت الصلاة اشتد فرحه بالخروج منها، والخلاص من هذا الحمل العظيم الذي على كاهله، يريد أن يتخلص منه بأسرع وقت.

فإذن: هذه علامة من علامات صحة القلب، وسبحان الله تبقى الصلاة ميزان يومي يعرف من خلاله العبد مكانة هذا الدين عنده، ومنزلة تعظيم رب العالمين في قلبه، ميزان يومي يزن به نفسه، وإذا حضر وقت الصلاة ظهر للعبد من نفسه حال هذا الدين عنده؛ لأن حظ العبد من الدين بحسب حظه من الصلاة، فالصلاة ميزان ومحك يومي يبين للإنسان ويعرف الإنسان من نفسه مكانة هذا الدين وتعظيم رب العالمين في قلبه، فهذه علامة عظيمة جدًا، تتكرر في اليوم خمس مرات في هذه الصلوات الخمس المفروضة: صلاة الفجر، والظهر، والعصر، والمغرب، والعشاء.